ثمرات الإيمان

والفروق بين مواقف المؤمنين ومواقف المنافقين كما جاء في القرآن الكريم

بقلم

الدكتور صالح الفوزان

مدير المعهد العالي للقضاء

ثمرات الإيمان والفروق بين مواقف المؤمنين ومواقف المنافقين كما جاء فى القرآن الكريم

الحمد لله يمن على من يشاء بهدايته للإيمان ويخذل أهل الكفر والطغيان. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان ـ أما بعد: فهذه كلمات عنت بخاطرى حول ما بينه الله تعالى فى كتابه من مواقف المؤمنين والمنافقين فأرت تسجيل ما حضرنى منها فأقول وبالله التوفيق،

لا شك أن الايمان نور يقذفه الله فى قلب العبد

« أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ »

« فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ »

والايمان منة من الله على العبد

« بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ »

والإيمان اعتقاد وعمل كما قال الإمام الحسن البصرى رحمه الله: (ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكنه ما وقر فى القلوب وصدقته الأعمال) ـ ولهذا عرفه أهل السنة والجماعة بأنه قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . وهو بهذا الاعتبار ضمانة الثبات فى مواقف الامتحان ومركب النجاة من طوفان الفتن وأمواج المحن. وقد علق الله على الايمان خيرات كثيرة عاجلة وآجلة فرتب عليه توفر الأمن والهداية فى الدنيا والآخرة:

« ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ »

كما رتب الله عليه حصول الحياة الطيبة وتوفر الحسن :

« مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ »

وقد تكفل الله بالدفاع عن أهل الايمان خاصة

« * إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ »

والايمان الذى هذه مميزاته ذو أركان ستة وذو شعب تزيد على سبعين شعبة ـ قال صلى الله عليه وسلم: (الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) وقال صلى الله عليه وسلم : (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله إلى الله وأنادها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان) إن الإيمان بأركانه الستة وحدة متكاملة يشمل كل ما يجب الايمان ولا يكفى الايمان ببعض هذه الاركان دون بعض.

« إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا »

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أنه لا يترك عباده بدون أختبار يميز الصادق فى إيمانه من الكاذب المنافق:

« أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ »

وهنا يظهر الفرق بين مواقف أهل الايمان وأهل النفاق والكفران. وسنعرض هنا جملة من تلك المواقف كما بينها القرآن الكريم.

١ - فمن ذلك موقف الفريقين عندما يدعون الى الله ورسوله ليحكم بينهم فيما تنازعوا فيه قال الله تعالى عن وقف المنافقين:

«وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾»

ثم بين الله سبحانه موقف المؤمنين عندما يدعون إلى حكم الله ورسوله بينهم فقال:

« إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ »

هذا موقف الفريقين عندما يدعيان إلى التحاكم إلى شريعة الله وهو موقف لا يزال يتكرر كلما حدثت قضية أو عرضت نازلة المؤمنون يريدون حكم الله ورسوله فيها إذا كان هم أما إذا كان عليهم فإنهم يهربون إلى حكم الطاغوت ليخلصهم من حكم الله.

٢ - ومن ذلك موقف الفريقين عند نزول القرآن وعند تلاوته فالمؤمنون يزيدهم نزول القرآن وتلاوته إيمانا وهم يستبشرون - والمنافقون يزيدهم ذلك رجسا إلى رجسهم ويتحينون الفرص للانصراف عن سماعه قال الله تعالى:

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ إلى قوله: وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ

٣ - ومن ذلك موقف الفريقين عند الجهاد فى سبيل الله فالمؤمنون يسألون ربهم عز وجل أن ينزل على رسوله سورة يأمرهم فيها بقتال الكفار حرصا منهم على الجهاد فى سبيل الله ونيل ما أعده الله للمجاهدين من جزيل الثواب فلما نزل الأمر بالجهاد وبادروا مغتبطين فجاهدوا بأموالهم وانفسهم - وأما المنافقون فهم عندما نزل الأمر بالقتال أصابهم الذعر والخوف وصاروا ينتحلون الأعذار تلو الأعذار للتخلف عنه. قال الله تعالى عن موقف الفريقين:

« وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ » وقال تعالى:

« لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ »

٤ - ومن ذلك موقف الفريقين عند مضايقة الكفار للمسلمين - فالمؤمنون يزيدون بذلك ثباتا على دينهم ويقوى يقينهم بوعد الله ورسوله لهم بالنصر. وأما المنافقون فإنهم يبلغ منهم الخوف كل مبلغ ويسوء ظنهم بالله وبرسوله قال الله تعالى عن موقف الفريقين عندما أحاط أحزاب الكفار بالمسلمين من داخل المدينة وخارجها وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر من هول الموقف فقال عن موقف المؤمنين عند ذلك:

« وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ » وقال عن موقف المنافقين:

« وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت

طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ
بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ »

أنه الاختبار القاسى الذى تجلى عن نجاح المؤمنين وإخفاق المنافقين وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

هذا ونسأل الله عز وجل أن يمن علينا بالإيمان ـ وأن يعيدنا من النفاق ـ والحمد لله رب العالمين وصلى الله عليه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.